إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة أبريل ٢٠١٧ م

أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة

"مرثا، مرثا، أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، ولكن الحاجة إلى واحد" (لو١٠: ٤١-٤٢). هكذا عاتب السيد المسيح مرثا، وهكذا لازال يعاتبنا ـ نحن الخدام ـ اليوم. لقد تحولت خدمتنا إلى مصدر للهم والاضطراب وفقدان للسلام الداخلي ليس بسبب أمر واحد بل بسبب أمور كثيرة. أمور كثيرة استطاعت أن تجرفنا بعيداً جداً عن الطريق والهدف فانطبق علينا قول الكتاب: "يلفك لف لفيفة كالكرة" (إش٢٢:١٨). لقد وظفنا كل أفكارنا، ومشاعرنا، وقدراتنا لتحقيق أهداف كثيرة في الخدمة: إداريات، تنظيمات، حسابات، مشاريع، توسعات، رحلات، معسكرات، مهرجانات، لجان مع نزاعات، وانشقاقات، وتحزبات، وتسلط، وكبرياء. لقد صارت جميع تلك المنجزات مع الأسف خالية من ذاك الواحد الذي هو الكل في الكل. لقد قيل عن يسوع أنه "اختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا" (يو٨:٥٩). نعم، هوذا هو يجتاز في وسط هيكله متأملاً مئات الأنشطة والخدمات التي ملأنا بها بيته إلا أنه إذ لا يجد فيها موضع راحة يمضي هكذا. ويا ويلنا لو مضى المسيح من وسطنا ووسط خدمتنا!!! يا ويلنا لو انطبق علينا قول الكتاب: "لكن حبيبي تحول وعبر" (نش٥:٦)!!!

لقد تساءل أرميا بمرارة قلب صارخاً: "لماذا تكون كغريب في الأرض وكمسافر يميل ليبيت؟!" (إر١٤:٨). نعم يا رب، لماذا صرت غريباً في هيكلك؟ لماذا صارت الخدمة بالنسبة لك كمبيت مسافر مؤقت بينما أنت في الحقيقة رب البيت وصاحب الكرم؟! كيف نتركك على الباب متوسلاً: "افتحي لي يا أختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي! لأن رأسي امتلأ من الطل، وقصصي من ندى الليل" (نش٥:٢) بينما أنت هو الواحد الذي لا نحتاج إلا إليه في خدمتنا بل وكل حياتنا؟

قد تصير كثرة المشغوليات والمسئوليات الموضوعة على عاتق زوجة الكاهن مصدر شكوى وتذمر لبعض زوجات الكهنة، وقد تكون مصدر فخر وتباهي للبعض الآخر. إلا أنه على كل الأحوال، في أحيان كثيرة قد تتحول الخدمة إلى إله يُعبَد!! نخطئ كثيراً في ترتيب الأولويات بينما نخدم. "السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت" (مر٢:٢٧). بالمثل، إنما جعلت الخدمة لأجل الخادم وليس الخادم لأجل الخدمة. بمعنى أنه عندما تستعبدنا الخدمة بدرجة تفقدنا الاتجاه والطريق، وتحجب عنا الهدف الأصلي الذي من أجله نخدم فإننا نكون في ضلال. حينما يوجد في الخدمة نزاع، وتشويش، وغضب، وسخط، وقساوة قلب، وتسلط، وكبرياء فإن السيد المسيح يختفي ويخرج منها. حينما نهتم ونضطرب بالنظم، والقواعد، واللوائح ونعطيها الأولوية على الإنسان الذي هو "بهاء مجد المسيح" ـ كما المسيح للآب ـ فإننا نكون في عوز لذاك الواحد. أية منفعة من الارتباك بأعمال كثيرة في الخدمة على حساب الالتصاق بالرب في صلوات، وقراءات، وأصوام؟! أية منفعة من خدمة مملوءة منجزات وخالية من المحبة؟! أية منفعة من الارتباك بالمنافسة في الخدمة بينما يخسر الخادم أخاه؟! أية منفعة من التشبث بالرأي الشخصي والافتخار بكسب معركة الجدل الفكري بينما تنجرح المحبة وينهزم الاتضاع؟! "إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن. وإن كانت لي نبوة، وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلست شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً" (١كو١٣: ١-٣)

ليتنا نتشبه ببولس الرسول الذي عندما دافع عن نفسه أمام أهل كورنثوس لم تكن غايته بالمرة أن يبرر ذاته بل أن يبقي على المحبة بينه وبينهم بغير مساس. إنه لم يرتبك بأمر الدفاع عن نفسه إلا من أجل هدف أسمى وهو بقاء علاقته بهم نقية بغير تشويش: "اقبلونا. لم نظلم أحداً، لم نفسد أحداً، لم نطمع في أحد. لا أقول هذا لأجل دينونة **لأني قد قلت سابقاً أنكم في قلوبنا لنموت معكم ونعيش معكم** ... إذاً وإن كنت قد كتبت إليكم فليس لأجل المذنب ولا لأجل المذنب إليه **بل لكي يظهر لكم أمام الله اجتهادنا لأجلكم**" (٢كو٧: ٢-٣، ١٢)